محاضرات فيديو لاهوتيّة

الوحدة: الوصايا العشر

المحاضرة ٤:

البند ٣ – الحَبَل وولادة المُخلّص العُذريّة

مُقدّم المحاضرة: القسّ كورنيلس هارينك

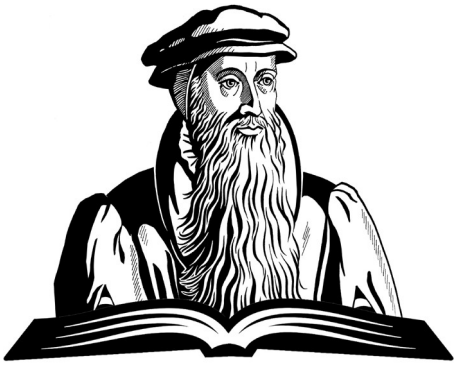

إسناد ميراثنا المُصلَح إلى الكنيسة في جميع أنحاء العالم

كليّة جون نوكس للتعليم العالي
إسناد ميراثنا المُصلَح إلى الكنيسة في جميع أنحاء العالم

© ٢٠٢١ من خلال كليّة جون نوكس للتعليم العالي

كلّ الحقوق محفوظة. لا يجوز إعادة إنتاج أيّ جزء من هذه المحاضرات بأيّ شكل من الأشكال أو بأيّ وسيلة لتحقيق الربح، باستثناء استخدام اقتباسات مُختصرة لأغراض المراجعة أو التعليق أو المنح الدراسيّة، من دون الحصول على إذن خطّي من الناشر: كليّة جون نوكس، ص. ب. ١٩٣٩٨، كالامازو، ميشيغان ٤٩٠١٩-١٩٣٩٨، الولايات المتّحدة الأمريكيّة.

جميع اقتباسات النصوص الكتابيّة مأخوذة من ترجمة البستاني – فاندايك، ما لم تتمّ الإشارة إلى خلاف ذلك.
الرجاء زيارة موقعنا: *www.johnknoxinstitute.org*

القسّ كورنيلس هارينك هو خادم فخريّ في كنيسة Gereformeerde Gemeente في هولندا.
www.gergeminfo.nl

وحدة

قانون إيمان الرسل

١٣ محاضرة

مقدّم المحاضرة: القسّ كورنيلس هارينك

١. المقدّمة

٢. البند ١ – الله الآب والخلق

٣. البند ٢ – الرب يسوع المسيح، ابن الله الوحيد

٤. البند ٣ – الحَبَل وولادة المُخلّص العُذريّة

٥. البند ٤ – المسيح المتألّم

٦. البند ٥ – قيامة المسيح

٧. البند ٦ – تمجيد المسيح

٨. البند ٧ – المسيح كديّان الأحياء والأموات

٩. البند ٨ – الله الروح القدس

١٠. البند ٩ – كنيسة المسيح الجامعة

١١. البند ١٠ – مغفرة الخطايا

١٢. البند ١١ – قيامة الجسد

١٣. البند ١٢ – الحياة الأبديّة

قانون إيمان الرسل

القسّ كورنيلس هارينك

المحاضرة ٤:

البند ٣: الحبل وولادة المُخلّص من عذراء

أعزّائي المستمعين، يقول البند الثالث من قانون إيمان الرسل: "الذي حُبِلَ به من الروح القدس، وولد من مريم العذراء." تدعونا هذه الكلمات إلى التأمّل في حقيقة ولادة يسوع من عذراء غير المُدركة بالعقل. لقد حُبِل بيسوع من الروح القدس، وولد من مريم العذراء. هكذا جاء يسوع إلى العالم. كيف يكون هذا ممكنًا؟ لا يمكن أن يولد إنسان بدون رجل. لذلك يسخر الكثيرون من ولادة يسوع من عذراء. ويزعمون أنّ المسيحيّين قد اختلقوا هذه الحقيقة للرفع من شأن يسوع، وأنّ يسوع كان مُجرّد ابن ليوسف، أو حتى لجنديّ رومانيّ. وعلى مرّ العصور، كانت ولادة يسوع من عذراء، بالنسبة لكثيرين، عَقَبة أمام تصديق رسالة الكنيسة المسيحيّة. لذلك، يرى العديد من الوعّاظ أنّه من الحكمة أن يلتزموا الصمت بشأن ولادة يسوع من عذراء، ويعتبرونها مُجرّد أسطورة.

ومع ذلك، ينصّ الكتاب المقدّس بوضوح على أنّ يسوع وُلد من عذراء. وقد عبّر قانون إيمان الرسل عن هذه الحقيقة نفسها: "الذي حُبل به من الروح القدس، ووُلد من مريم العذراء." والأدلّة الكتابيّة وفيرة لدعم هذا. عندما أعلن الملاك جبرائيل للعذراء مريم أنّها ستلد ابنًا، كان ردّ فعلها: "كيف يكون هذا وأنا لستُ أعرفُ رجلاً؟" (لوقا ١: ٣٤). لم تكن مريم قد قامت بعلاقة جنسيّة. كان ردّ فعلها منطقيًّا. كيف

يمكن لعذراء أنْ تلدَ ابنًا؟ أجاب الملاك حينها: "الروح القدس يحلّ عليك، وقوّة العلي تُظلّلك. لذلك أيضًا القدوس المولود منك يُدعى ابن الله" (لوقا ١: ٣٥). يخبرنا متّى أنّ يوسف حزن بشدّة، عندما شكّ في أنّ مريم كانت غير مُخلِصة له. ولكنّ الملاك الذي أرسله الرب إليه طمأنه قائلًا: "يا يوسف ابن داود لا تخف أنْ تأخذَ مريم امرأتَك، لأنّ الذي حُبل به فيها هو من الروح القدس" (متى ١: ٢٠). والشهادة الواضحة التي لا لُبْس فيها في الأناجيل هي أنّ مريم كانت حاملًا من دون تدخّل رجل. ويخبرنا الكتاب المقدّس أنّ ميلاد يسوع المسيح كان على هذا النحو: "ولما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا، وُجدت حبلى من الروح القدس" (متى ١: ١٨). وفي ضوء المعلومات التي يقدّمها الكتاب المقدّس، فإنّ ولادة يسوع من عذراء لا جدال فيها. ولا يمكن لأحد أنْ يُنكر ذلك إلّا من خلال إنكار الحقائق المسجلّة في الأناجيل.

يعترف قانون إيمان الرسل: "حُبِلَ به مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ." ويُنْسَبُ حَبْلُ مريم إلى الرُّوحِ الْقُدُسِ. والروح القدس، الذي شكَّل الحياة البشريّة داخل مريم، هو الروح القدس نفسه الذي كان يرفّ على وجه المياه في الخلق الأوّل، فنظَّم المادّة المخلوقة إلى خلقٍ جميل ظهر بالكامل في نهاية ستّة أيّام. والروح القدس الذي مكّن البذار من الإنبات وجعل الأرض مثمرة، خلق الحياة البشريّة داخل مريم. وسوف يُغلّف الله مريم بعناق وقائي يكرّسها لخدمةٍ فريدة من نوعها. وسوف تحمل بدون تدخّل رجل، وتلد ابنًا، ابنًا سيُدعى ابن العليّ (لوقا ١: ٣٢). وبهذه الطريقة، سوف يصبح ابن الله الأبديّ إنسانًا. وسوف تتحقّق نبوءة إشعياء في مريم: "ها العذراء تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمه عمّانوئيل" (إشعياء ٧: ١٤).

من هو يسوع؟ من ولدت مريم؟ من لفّته بالأقمطة وأضجعته في المذود؟ يُعطينا الكتاب المقدّس الإجابة: "الله ظهر في الجسد!" عظيم هو سرّ التقوى: الله ظهر في الجسد" (١ تيموثاوس ٣: ١٦). ابن مريم، الطفل المولود في بيت لحم، هو الله، بعد أن اتّخذ الطبيعة البشريّة. الكتاب المقدس يُعلّمنا هذا، والمسيحيّ يعترف بذلك.

طفلُ بيت لحم، من حيث طبيعته الإلهيّة، هو الابن الوحيد الذي كان موجودًا قبل أنْ يُحبلَ به ويولد. قال يسوع: "قبل أن يكون إبراهيم، أنا كائن" (يوحنا ٨: ٥٨). ويبدأ يوحنّا وصفَه لكلّ ما قاله يسوع وفعلَه بهذه الكلمات المؤثّرة: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله" (يوحنا ١: ١). يسوع هو الكلمة الأزلي، وهو أزليّ مع الله، وهو الله. وقد أصبح هذا الكلمة الإلهيّ الأزليّ إنسانًا من خلال مريم العذراء.

عبّر علماء اللاهوت القدماء عن ذلك كالتالي: ظلّ على ما كان عليه، وصار ما لم يكن عليه. ظل على ما هو عليه، أي إله من إله ونور من نور. ورغم أنّه وُلد من امرأة، ووُضِع في مذود، وزحف في بستان جثسيماني كدودة لا إنسان، وصُلِب ومات ودُفِن، فإنّه بذلك لم يتخلّ عن لاهوته. لقد ظلّ ابنَ الله الأزليّ. فماذا حدث إذن؟ لقد قام بحجب لاهوته. وتواضع وأصبح خادم الله. نقرأ في فيلبي ٢: "ٱلَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ ٱللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلًا لِلهِ. لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ ٱلنَّاسِ" (فيلبي ٢: ٦-٧). لقد أخفى لاهوته وراء بشريّتِه، ورغم أنّه سمحَ لنفسه بأنْ يُستهزأ به، ويُقبض عليه، ويُصلب، إلّا أنّه ظلّ الله: الابن الأزلي لله الأزلي. لقد أصبح ما لم يكن

عليه، أي جسد ودم العذراء مريم. لقد أصبح إنسانًا، له روح وجسد، قادر أن يتألّم ويموت. وكيف أصبح إنسانًا؟ في قانون إيمان الرسل، يعترف المسيحي بأنّه "حُبل به من الروح القدس، وُلِد من مريم العذراء."

لم تُخلق الطبيعة البشريّة ليسوع بالطريقة نفسها التي خُلقت بها طبيعة آدم البشريّة. أخذ طبيعته البشريّة كما نأخذها جميعًا، أي بالولادة. وُلد يسوع كثمرة من رحمِ مريم. كان إنساناً بالحقّ والحقيقة، له روح وجسد. لقد اختبر التعب والألم، والفرح والحزن، والخوف والقلق، والألم والموت. ويُعلن الكتاب المقدّس أنّه أصبحَ مثلنا في كلّ شيء: "لذلك كان ينبغي أنْ يُشبهَ إخوتَه في كلّ شيء" (عبرانيّين ٢: ١٧). أصبح واحدًا منّا، "عمّانوئيل: الله معنا" (متى ١: ٢٣). يُشير الكتاب المقدّس إلى أنّ يسوع أصبحَ إنسانًا. وبالتالي، لم يكن إنسانًا، لكنّه أصبح كذلك في ملء الزمان. يكتب يوحنّا: "والكلمة صار جسدًا" – يوحنا ١: ١٤. يكتب بولس: "ولكن لما جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة، مولودًا تحت الناموس" (غلاطية ٤: ٤). يتحدّث كِلا المقطعَيْن عن الصيرورة والخلق. في الواقع، أصبح ما لم يكن عليه: أصبح إنسانًا، إنسانًا حقيقيًّا، بجسدٍ بشريّ وروحٍ عاقلة.

على الرغم من أنّ يسوع أصبحَ مثلَنا في كلّ شيء، إلّا أنّه كان يوجد استثناء واحد: لم يصبح مثلنا فيما يتعلّق بالخطية. يقول الرسول عن يسوع: "لأنّه جعل الذي لم يعرف خطيّة، خطيّة لأجلنا" (٢ كورنثوس ٥: ٢١). لم يعرف يسوع الخطيئة الأصليّة، ولا خطايا فعليّة. كيف يمكن أن يكون هذا؟ كيف يمكن أن يكون يسوع إنسانًا حقًّا، مولودًا من امرأة، ومع ذلك يكون بلا خطيئة؟ يقول قانون إيمان

الرسل القديم إنّه "حُبل به من الروح القدس."

إن الذي أنجب الطفل يسوع لم يكن أبًا أرضيًّا، وبالتالي، لم يكن إنسانًا ساقطًا ينقل الخطيئة الأصليّة إلى ذريّته. لم يكن الطفل يسوع مصابًا بالخطيئة. الروح القدس هو الذي سبّب ولادة يسوع. ورغم أنّ يسوع لم يكن له أب أرضي، إلّا أنّه كانت له أم أرضيّة. لقد شاركت مريم بالفعل في هذا الحمل، ولكن بدلًا من أن تشارك رجلًا، كان الروح القدس هو الذي حقّق الحَمَل في أحشائها. وبالتالي، كان يسوع بلا خطيئة. إنّ الحَمَلَ بيسوع بلا خطيئة هو سرّ مُقدّس يؤكّد الطبيعة الخارقة لطبيعة الإيمان المسيحيّ.

الله هو خالق كلّ العمليّات والقوانين الطبيعيّة. فالأطفال يولدون نتيجةً للاتّحاد الجسديّ بين الزوج وزوجته. ومع ذلك، فإنّ الله ليس مُلزمًا بهذه العمليّة. عندما يفعل الله عملًا لا يمكن التوفيق بينه وبين قوانين الطبيعة، فإنّنا نشير إلى ذلك باعتباره معجزة. ولا يمكن تفسير المعجزة، وإلّا فلن تكون معجزة. وينطبق هذا بشكل خاصّ على ولادة يسوع من عذراء. لقد أجرى الله مُعجزةً خارقة للطبيعة، ولو من خلال إشراك العذراء مريم. وبالتالي، فإنّ يسوع يتمتع بطبيعة بشريّة حقيقيّة، كونه جسد ودم العذراء مريم، وفي الوقت نفسه لم يكن ملوّثاً بالخطيئة الأصليّة. يسوع هو "القدّوس المولود منك" (لوقا ١: ٣٥).

يسوع هو ابنُ الله، وُلِد من العذراء مريم، وحُبل به الروح القدس. إنّه إله وإنسان. إنّه عمّانوئيل. إنّه إله وإنسان حقيقيّ، هو كلُّ ما هو الله، وفي الوقت نفسه، كلُّ ما هو الإنسان. لم يكن المسيح نصفَ إله

ونصفَ إنسان، بل كان إلهًا كاملًا وإنسانًا كاملًا. قال الملاك جبرائيل لمريم: "ويدعى اسمه عمانوئيل، الذي تفسيره الله معنا" (متى ١: ٢٣). إنّ القولَ بأنّ يسوع هو إله وإنسان في الوقت نفسه لا يعني أنّنا إمّا لدينا شخصان أو فردان، ولكن في يسوع، تتّحد طبيعتان في شخص واحد. إنّه إذن إله وإنسان، ممّا يؤهّله ليكونَ الوسيط بين الله والإنسان، وبالتالي، ليكونَ المُخلّصَ. لماذا كان على ابن الله أنْ يتجسّد، حتّى يكون فادي شعبَه؟ ألم يكن بإمكانه من السماء أن يتمّم وعدَ الجنّة، وأنْ يسحقَ رأسَ الشيطان؟ هل كان مُلزمًا أنْ يتركَ السماء ويولد من امرأة ويصير إنسانًا؟ لا بُدّ أن نجيبَ عن هذا السؤال بسؤال آخر: "من سقط في الخطيّة؟" الإنسان. لذلك، لا بدّ أنْ يتحمّلَ الإنسانُ أيضًا عقوبة الخطيئة. لقد أخطأت الطبيعة البشريّة، لذلك، لا بدّ أن تُعاقبَ الخطيئة في الطبيعة البشريّة.

كان على ابن الله أنْ يتّخذ طبيعةَ شعبه، حتّى يتمكّنَ من أنْ يكون بديلاً عنهم. يتحدّث الرسول عن هذا قائلًا: "فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ ٱلْأَوْلَادُ فِي ٱللَّحْمِ وَٱلدَّمِ ٱشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِٱلْمَوْتِ ذَاكَ ٱلَّذِي لَهُ سُلْطَانُ ٱلْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ، خَوْفًا مِنَ ٱلْمَوْتِ، كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ ٱلْعُبُودِيَّةِ" (عبرانيّين ٢: ١٤). جاء يسوع في مَهمّة. ولكي يتمّم مهمّة الخلاص، كان لا بُدّ أنْ يلبَس ابن الله ثوبًا بشريًّا. إنّ عدالة الله تتطلّب من الإنسان، بعد أنْ أخطأ، أن يدفع عقوبة الخطيئة. يتحدّث أحد آباء الكنيسة المشهورين، أثناسيوس، في كتابه: "تجسّد الكلمة"، عن مطلب كينونة الله. إنّ كينونة الله المقدّسة تتطلّب الحقيقة والعدالة. إنّ الله عادل، وبالتالي، لن يعاقب مخلوقًا آخر بسبب خطيئة الإنسان. وبالتالي، كان لزامًا على الفادي أنْ يكونَ إنسانًا، حتّى يستطيع أن يتحمّل نيابةً عن

شعبه عقاب خطاياهم. وبالتالي، كان لزامًا عليه أيضًا أن يكون إنسانًا بلا خطيئة. ولم يكن الوسيط مجرّد إنسان؛ بل كان لزامًا عليه أيضًا أن يكون خاليًا من الخطيئة. يقول تعليم هايدلبرغ بوضوح: " الخاطئ لا يستطيع أنْ يُسدّد الثمن عن الآخرين" (يوم الرب ٦).

لا يستطيع إنسان مفلس أن يساعد مفلسًا آخر. والحكم القضائي في الكتاب المقدّس هو: "ٱلْأَخُ لَنْ يَفْدِيَ ٱلْإِنْسَانَ فِدَاءً، وَلَا يُعْطِيَ ٱللهَ كَفَّارَةً عَنْهُ" (مزمور ٤٩: ٧). لذا، يجب أن يكون الفادي إنسانًا، ولكن ليس خاطئًا. يجب ألّا يكون خاليًا من أي عمل خاطئ فحسب، بل أن يكون خاليًا أيضاً من دَنَسِ الخطيئة الأصليّة. وكما كان لا بُدّ أن تكون ذبيحة الكفّارة في الهيكل بلا عيب، كذلك لا بدّ أن يكون الفادي بلا خطيئة. يجب أن يقال عن كل إنسان ينحدر من آدم: "مَنْ يُخْرِجُ ٱلطَّاهِرَ مِنَ ٱلنَّجِسِ؟ لَا أَحَدٌ" (أيوب ١٤: ٤). أمّا عن يسوع، فنقرأ أنّه "القدوس المولود منك" (لوقا ١: ٣٥). لم يكن الحبل به من أب ذي طبيعة فاسدة، بل حُبل به من الروح القدس (متى ١: ٢٠). نقرأ في عبرانيين ٧: ٢٦ عن يسوع أنّه "قُدُّوسٌ بِلَا شَرٍّ وَلَا دَنَسٍ، قَدِ ٱنْفَصَلَ عَنِ ٱلْخُطَاةِ." وهذا يؤهّله ليكونَ الضامن لدفع الثمن نيابة عن الخطاة.

إنّ تجسّدَ يسوع من خلال مريم يُعزّينا كثيرًا. فهذا لم يؤهّل يسوع ليأخذ مكاننا كضامن ووسيط، وأن يدفع دَيْن الخطيّة فحسب، بل كان بإمكانه أيضًا أن يكون رئيس كهنة رحيمًا. نقرأ في عبرانيّين ٢: ١٧: " مِنْ ثَمَّ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُشْبِهَ إِخْوَتَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لِكَيْ يَكُونَ رَحِيمًا، وَرَئِيسَ كَهَنَةٍ أَمِينًا فِي مَا لِلهِ." نقرأ في عبرانيّين أنّ الله لم يُعيّن ملائكة قدّيسين لتولي منصب رئيس الكهنة، بل رجال ضعفاء

وخطاة وساقطين: "لِأَنَّ كُلَّ رَئِيسِ كَهَنَةٍ مَأْخُوذٍ مِنَ ٱلنَّاسِ يُقَامُ لِأَجْلِ ٱلنَّاسِ فِي مَا لِلهِ"(عبرانيين ٥: ١). لم يختر الله ملائكة قدّيسين، بل رجالًا ساقطين ليكونوا كهنة ورئيس كهنة في الهيكل. ما الذي دفع الرب ليفعل هذا؟ كان لزامًا على رئيس الكهنة أنْ يكون شخصًا يفهم ويتعاطف مع شعبه الضعيف والخاطئ والمذنب والحزين والنادم والمضطرب، الذي يأتي إلى الهيكل طالبًا التعزية والمغفرة والسلام. كان لزامًا عليه أنْ يكون رئيس كهنة "قَادِرًا أَنْ يَتَرَفَّقَ بِٱلْجُهَّالِ وَٱلضَّالِّينَ، إِذْ هُوَ أَيْضًا مُحَاطٌ بِٱلضَّعْفِ" (عبرانيين ٥: ٢).

يسوع هو رئيس الكهنة! فبتجسّده صار مثلَنا في كلّ شيء. ولن نتعرّض في حياتنا لأيّ شيء لم يتعرّض له يسوع أيضًا. فمهما كانت صراعات وتجارب المؤمن، فإنّ يسوع تحمّلها أيضًا. آثار خطوات يسوع موجودة في كلّ مكان. لقد خاض الحرب نفسها، واختبر الآلام نفسها، وتحمّل العار نفسه، ومات الميتة نفسَها. ولأنه جُرِّب في كلّ شيء، فهو يعرف كلّ التجارب ويفهمها. لقد تعرّض لها كلَّها. لذلك يمكنه أنْ يُشفقَ على أتباعه المجرّبين في كلّ تجاربهم وآلامهم وموتهم. وبسبب تجسّده، يمكنه أن يكون رئيس الكهنة الرحيم لكلّ من يلجأ إليه، بخطاياهم وبؤسهم وتجاربهم وآلامهم. وهذا يجعل يسوع قريبًا وعزيزًا عليهم في كلّ متاعبهم. ويجعل المؤمن يقول: "لا أخاف شرًّا لأنّك معي" (مزمور ٢٣: ٤). انتصرَ يسوع. تغلّب على العدوّ، لأنّه في كلّ تجاربه وآلامه، ظلّ بلا خطيئة. يقول الرسول إنّ يسوع "مُجَرَّب في كل شيء مثلنا، ولكن بلا خطيّة" (عبرانيين ٤: ١٥). غالبًا ما نخطئ في تجاربنا وآلامنا، ولا نتحرّر أبدًا من الشعور بالذنب والنجاسة. لكن يسوع ظلّ بلا خطيئة. لقد أطاع أباه: "وأطاع حتّى

الموت، موت الصليب" (فيلبي ٢: ٨). سقط آدم الأول في التجربة، لكن يسوع، آدم الثاني، ظلّ أمينًا ومطيعًا لأبيه. صلّى في بستان جثسيماني: "ليس كما أريد أنا، بل كما تريد أنت" (متى ٢٦: ٣٩). لقد جُرِّب يسوع حقًا مثلَنا، ولكن بلا خطيئة. وظلّ في كلّ هذا، الابن المطيع لأبيه. لذلك، يستطيع أنْ يُعيننا في كلّ ضعفاتنا وتجاربنا. يمكن لأولاد الله الآن أنْ يفتخروا بكلّ صلبانهم وضيقاتهم، ليقولوا مع الرسول بولس: "بل في كل شيء يعظم انتصارنا بالذي أحبّنا" (رومية ٨: ٣٧). هذه هي التعزية الغنيّة التي يمكن استخلاصها من تجسّد ابنِ الله. بالنسبة للمسيحي المؤمن، فإنّ ناسوت يسوع الحقيقيّ لا يُقلّل من مجده وجماله. بل على العكس من ذلك، يجعله أكثر مجدًا ورفعة. التجسّد يجعل يسوع المُخلِّص المُطلق والكافي، لأنّه ليس مجرّد إنسان حقيقي، بل هو أيضًا إله حقيقيّ.

لم يكن لزامًا على الفادي أن يكون إنسانًا قدّيسًا وبارًّا فحسب، بل كان عليه أيضًا أنْ يكون أقوى من كلّ البشر. كان لزامًا عليه أن يكون الله. كان العمل الذي كان لزامًا عليه أن ينجزه والمعركة التي كان لزامًا عليه أن يخوضها شاقّة جدًّا بالنسبة لرجل بلا خطيئة أو لملاك قدّيس عظيم. كان لزامًا على يسوع أنْ يحمل كلّ خطايا مختاريه، وأنْ يتحمّل ما يستحقّونه من موت بسبب خطاياهم. كان لزامًا عليه أن يخضع للعنة الناموس، لأنّ الناموس المكسور ينطق بلعنة على المتعدّي. كان لزامًا عليه أن يتحمّل العقوبة المستحقّة على الخطيئة، لأنّ الله لا يستطيع أن يترك الخطيئة بدون عقاب. كان لزامًا عليه أن يتحمّل غضب الله، لأن الخطيئة تثير غضب الله العادل والقدّوس. كان لزامًا عليه أنْ يموت،

لأنّ "أجرة الخطيئة هي موت" (رومية ٦: ٢٣). كان لزامًا عليه أنْ يتحمّل الابتعاد عن الله، لأنّ عقوبة الخطيئة هي البُعد عن الله في الجحيم. كان عليه أنْ يسحق رأس الحيّة القديمة، إبليس، وأن ينتصر على الموت. كيف كان بوسعه أن يتحمّل وينتصر على كلّ هذا لو لم يكن إلهًا حقًّا، فضلًا عن كونه إنسانًا حقًّا؟ كان من الممكن أن يستسلم يسوع تحت هذا العبء الثقيل، رغم كونه بارًّا، لو لم يكن في الوقت نفسه إلهًا حقيقيًّا. كان على يسوع أن ينتصرَ على أعداءٍ لا يقدر على هزيمتهم إلّا الله. كان عليه أن ينتصرَ على الشيطان، والموت، والقبر، والجحيم. لم يكن بوسع أيّ إنسان عادي أنْ يحقّق هذا. فقط الفادي الإلهيّ يستطيع أن ينتصر، كما يقول النبي إرميا: "وَلِيُّهُمْ قَوِيٌّ. رَبُّ ٱلْجُنُودِ ٱسْمُهُ" (إرميا ٥٠: ٣٤). لو لم يكن يسوع إلهًا حقًّا، لاستسلم في بستان جثسيماني، وعلى الصليب. لما استطاع أنْ يصرخَ: "قد أكمل" (يوحنا ١٩: ٣٠). كان يسوع مدعومًا بألوهيّته، وهكذا استطاع أن ينجح في عمله الفدائيّ.

نسمع المسيح يقول في إشعياء ٦٣: ٥: "فَنَظَرْتُ وَلَمْ يَكُنْ مُعِينٌ، وَتَحَيَّرْتُ إِذْ لَمْ يَكُنْ عَاضِدٌ، فَخَلَّصَتْ لِي ذِرَاعِي، وَغَيْظِي عَضَدَنِي." كان لزامًا على يسوع أنْ يكون الله حتّى يعطي قيمة لا نهائيّة لطاعته وموته وسفك دمه. الله غير محدود، وبالتالي، الخطيئة التي تُرتكب ضدّ الله تتطلّب رضًا لا محدود. وحدُه الله قادر على تقديم الذبيحة الوحيدة التي تحقّق رضًا غير محدود.

وفوق هذا، كان على يسوع أنْ يقدّم ذبيحة كافية ليس لقلّة قليلة. بل كان لا بدّ أن تكون ذبيحته كافية لحشد لا يستطيع أحد أن يحصيه، ولا يستطيع تحقيق ذلك إلّا الفادي الإلهي. كان لا بدّ أن يكون

يسوع أيضًا إلهًا، حتّى يجعلنا شركاء في برّه. وكان لا بد أن يكون قادرًا على تطبيق ما استحقّه، وجعل الخطاة شركاء في بركاته. وكان لا بدّ أن يتحوّل المضطهِدون مثل الرسول بولس إلى وُعّاظ. وكان لا بد أن يُفتحَ قلبُ ليديا. وكان لا بدّ أن يُقام المسيحيون في كورنثوس من الموت الروحيّ. وكان لا بدّ أن يتأسس ملكوت الله بين الأمم. وكان عمل الفداء يتطلّب فاديًا إلهيًّا، لأنّ يسوع كان ليكون فاديًا عاجزًا لولا لاهوتِه. وكان لا بدّ أن يكون يسوع مؤهّلًا أيضًا ليدين الأحياء والأموات. ولا يستطيع القيام بذلك إلّا واحد وهو الله، الكليّ القدرة وكلّي المعرفة. كان لزامًا على يسوع أنْ يكون مُستحقًّا لتلقّي التكريم الإلهي، وبالتالي للعبادة، باعتباره الله، وإلّا فمن يفعل ذلك يكون مذنبًا بعبادة الأصنام. والواقع أنّ كلّ شيء سيثبت أو يسقط مع هذا الاعتراف بأن يسوع مخلّصَنا هو الله والإنسان، متّحدَيْن في شخص ابن الله الأزليّ. وفقط مثل هذا الشخص يمكن أن يكون "الوسيط الوحيد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح" (١ تيموثاوس ٢: ٥. فهو وحده الذي كان إلهًا وإنسانًا في شخص واحد، قادر على أنْ يكونَ مُخلّصَ الإنسان الساقط.

إنسانيّتُه تمكّنه من أنْ يحلَّ محلّ البشر الخطاة. لاهوتُه يمكنه أن يحملَ ثقل خطاياهم، وإرضاء عدالة الله. لا أحد غير هذا الكاهن الأعظم يستطيع أنْ يسدّ الفجوة التي أحدثتها الخطيئة بين الله والإنسان. لقد شهد بطرس عن يسوع قائلًا: "ليس بأحد غيره الخلاص. لأنه ليس اسم آخر تحت السماء قد أُعطي بين الناس به ينبغي أنْ نخلص" (أعمال الرسل ٤: ١٢). لا يمكننا أنْ نُخلّصَ أنفسَنا. كلّ ما نتمتّع به من برّ ليس إلّا خِرقًا بالية. الله وحده هو القادر أن يُصالحنا مع الله. الله هو

الذي فدى كنيسته!

إن يسوع، باعتباره الله وإنسان، هو المخلّص المؤهّل والكافي. "لِأَنَّهُ كَانَ يَلِيقُ بِنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ مِثْلُ هَذَا، قُدُّوسٌ بِلَا شَرٍّ وَلَا دَنَسٍ، قَدِ ٱنْفَصَلَ عَنِ ٱلْخُطَاةِ وَصَارَ أَعْلَى مِنَ ٱلسَّمَاوَاتِ" (عبرانيين ٧: ٢٦). إنّ لاهوتَه يعطي قيمة أبدية للذبيحة التي قدّمها. إنّ دمَه يتحدّث عن أشياء أفضل من دم هابيل (عبرانيّين ١٢: ٢٤). إنّه يطهّر من كلّ خطيئة. وباعتباره الله والإنسان، فإنّ الفادي مؤهّل ليُخلّص إلى التمام: "فإنه يقدر أنْ يُخلّص أيضًا إلى التمام الذين يتقدّمون به إلى الله" (عبرانيّين ٧: ٢٥). ليسوع قوّة وقدرة على الخلاص بلا حدود. يستطيع أنْ يُخلّص أسوأ الخطاة. يستطيع أنْ يكسرَ أقوى قيود الخطيئة والشيطان. يسوع وحده، المسيح المولود في بيت لحم، الذي هو إله وإنسان، يستطيع أن يكون فادينا. القدوس، يسوع البريء من الخطيئة، الذي ولد من العذراء مريم، وصار خطيئة لأجلنا، يستطيع بقداسته وبراءَته أن يكون غطاء لنا أمام الله القدّوس.

ولكن يسوع ليس فقط المخلّص الكافي والمناسب، بل نحتاج بشدّة إلى مُخلّص مثل هذا. والسؤال المطروح علينا هو ما إذا كنّا نشعر بهذه الحاجة. هل سبق وواجهت حقيقة أنّنا لا نستطيع أن نقفَ أمامَ إله قدّوس وعادل، وبالتالي نحتاج إلى دم يسوع الكفّاري؟ هل سؤال قلبك المضطرب هو: "من سيستر خطاياي أمام إله قدّوس وعادل؟" هل هذه هي حاجتك الكبرى الوحيدة؟ إذن، ستكون رسالة ولادة ابن الله من العذراء مريم لك: "أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ ... وُلِدَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ ... مُخَلِّصٌ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱلرَّبُّ" (لوقا ٢: ١١). يُكرز لكم بمخلّص مؤهّل ومُستعدّ جدًّا. لذا، أسرعوا والتجئوا إليه، إلى القادر

والذي ويريد أن يُخلّص إلى التمام كل من يأتي إلى الله به. ولخلاص روحك، لا تنسَ ما يقوله الرسول إنّ الكل يأتي إلى الله بواسطته، لأنّ الخطاة الذين يُخلّصهم هم فقط الذين يلتجئون إليه.